تحقيقات جول

صدر وسدر

على الطريق المهجور بين مصر والشام

للاستاذ أحمد بك رمزى

«لقد أنهت مصر الحروب الصليبية وكان من الخطأ ترك الاتصال قائما بينها وسائر بلاد الاسلام»

مؤرخ أوروبى

«أن اسرائيل سيقدر لها أن تعيش وتنمو وتغير التاريخ وحوادث الزمن، حينما تنزل مصر عن بقية الأمم العربية: أى إذا عزلت القاهرة عن دمشق وبغداد، ولو بمر لا يزيد عرضه على كيلو مترين»

أحمد رمزى

١ — وردت عين سدر ووادى سدر sudr فى خرائط مصلحة المساحة فى الطبعة الأولى والثانية، كما وردت بالاتفاقات التى عقدتها الحكومة المصرية مع شركات البترول وفى القوانين التى عرضت على البرلمان لإقرارها بواسطة الحكومة المصرية فلم ينتبه أحد من رجال مصلحة المساحة ولا رجال القانون إلى تحقيق هذا الإسم وضبطه ضبطاً علمياً يتفق مع مكانة مصر وأثرها فى العالم العربى إلى أن صحح فى الخريطة ١/٢٠٠٠٠٠ مصر الصادرة باللغة العربية فنحمد لمصلحة المساحة هذا الاهتمام.

٢ — ويظهر أن بعض الأسماء العربية الواردة بخرائط مصلحة المساحة كانت مترجمة ترجمة حرفية من اللغة الانجليزية التى وضعت من الأصل هذه الخرائط فيها، فجاء الناقلون إلى العربية — وهم ليسوا أهل اختصاص فوضعوها بأخطائها دون عودة إلى المراجع العربية ودون ضبط للأعلام والأسماء.

٣ — والذى أعلمه هو أن صحة الاسم «صدر» لا «سدر» وجاء ذكر صدر فى معجم البلدان لياقوت جزء ٣ صفحة ٣٧٥: «قلعة حراب بين القاهرة وأيلة» أى العقبة ويظهر من كتب القدماء توالى استعمال «عين صدر» و «وادى صدر» وهى واقعة على طريق يبدأ من عيون موسى إلى عين الرويث أو «الريثة» ثم ينتهى الطريق إلى منبع وادى صدر وهو الذى كان على مرتفعه الحصن الذى أشار إليه ياقوت فى معجمه وهو حصن قديم ولا تزال بقاياه مرسومة على الخرائط تحت إسم Old Tort ثم يسير الطريق منه إلى نخل.

٤ — ويظهر أن هذا الطريق — وهو يقع جنوبى طريق الحاج العام والمعروف على الخرائط — هو الذى يمر بوادى صدر وكان يستعمل للذهاب إلى العقبة علاوة على الطريق المطروق المعروف، فقد جاء فى السلوك صفحة ٥٨ سنة ٥٧٠ هجرية أن صلاح الدين أقام ببركة الحب وهى معروفة فى شمال القاهرة ثم سار منها على صدر التى أشرنا إليها متجهاً إلى أيلة فى سيمائة فارس — وكان يقصد اخفاء حركاته فقد جاء فى كتاب الروضتين نقلا عن العماد «أن صلاح الدين زحف من البركة ورحل إلى بلبيس ونزل منها جنوباً إلى صدر ثم إلى أيلة» فلم يسلك طريق الحج المعتاد وإنما سلك هذا الطريق البعيد عن الأنظار والرقباء حتى يطمئن إلى اخفاء حركاته وهو فى طريقه إلى الشام ليقرن حملته بعامل المفاجأة، وفعلا أناخ على بصرى بالشام ثم على مدينة صرخد ثم إلى الكسوة وهى من ضواحى مدينة دمشق اجابة للرغبة التى أبديت له بعد وفاة نور الدين الشهيد رحمه الله.

٥ — وأرجح أن هذا الطريق الذى لم يكن يطرق إلا نادرا هو الذى سلكه أبو الطيب المتنبى فى خروجه هارباً من كافور الاخشيدى ليلة عيد الأضحى سنة ٣٥٠ هجرية. فقد أعد كل ما هو فى حاجة إليه وأخذ يظهر الرغبة فى المقام، وتظاهر لمن حوله من الرقباء أنه سيسلك طريق الشمال بدليل مدحه لعبد العزيز بن يوسف الخزاعى زعيم خزاعة النازلة ببلبيس بقوله:

جزى عربا أمست ببلبيس ربها ... بمسمانها تقرر بذاك عيونها

فلفت أنظار الرقباء بمديحه هذا إلى طريق بلبيس فأقاموا العيون عليه هناك وكتبوا إلى عمالهم بالحرفين — الشرقى والغربى — والجفار — أى سيناء — وغزة والشام وجميع البوادى حتى يقطعوا طريقه ويقبضوا عليه واتجه هو إلى الطريق البعيد عن الأنظار عيون موسى ووادى عين صدر فوصل إلى نخل، ودليلى على ذلك

ورود موقع الرثمة ضمن المياه التي مر بها أبو الطيب المتنبي قبل وصوله إلى نحل وبذلك نجح في اخفاء طريق هربه فلم يعرف له أثر حتى قال بعض أهل البادية : « هبه سار فكيف بما أثره » وقال بعض المصريين « إنما أقام حتى عمل طريقاً تحت الأرض »

٦ — والرثمة تشبه الرعمة : يقول عنها قاموس الكتاب صفحة ٤٧٥ أنها محطة نزلها بنو إسرائيل وأنها مأخوذ من الرتم الذي ينبت بالبادية . ونلاحظ أن هناك مكاناً آخر باسم الرعمة في سينا ، غير هذا الموقع ولا أجزم بأن الرعمة والرثمة مكان واحد والمسألة تحتاج إلى تحقيق علمي واسع . ولكني أميل إلى الظن بأن الرثمة التي جاءت في ديوان أبي الطيب المتنبي هي الربيثة التي ذكرها الأدريسي في نزهة المشتاق طبعة ليدن كمحطة في الطريق بين عجرود المعروفة وأيلة — التي هي العقبة — وليس لدينا على الخرائط المتداولة عند وادي صدر سوى عين رويت أو رويث وهي على المنحدر الذي يوصل إلى عين صدر وقد تكون الرثمة هي الربيثة حرفها النساخ وقد تكون الربيثة هي رويث .

فكأن أبا الطيب المتنبي سلك طريقاً كان معروفاً ببعده عن الرقباء . وقد ركب الهجن من الفسطاط وأشاد بمدحها ولهذا يقول:

ضربت بها التيه ضرب القما ر إما لهـــذا وإما لذا

٧ — بين يدي كتاب صحراء سينا الذي وضعه لورانس مع «ليورانس وولي» البريطانيين عن نتيجة أبحاثهما في هذه الصحراء وهو يتضمن معلومات أثرية وتاريخية عن المنطقة الواقعة بعد الحدود المصرية ، لا تقل أهمية عن الكتاب الشائق الذي وضعه الدكتور عباس مصطفى عمار عن أهمية شبه جزيرة سيناء وفي كل منهما دراسة عميقة عن أحوال هذه المناطق ومسالكها وكل منهما يكمل الآخر ، وليس لي ما أزيد على تقديري للكتابين سوى أشادتي بعبقرية رجلين عظيمين الأول: صلاح الدين الأيوبي والثاني: الظاهر بيبرس . فلقد كان لكل منهما الفضل الذي لا ينكر في فهم استراتيجية الحروب الصليبية كما يفهمها رجل عبقري فذ ، ففي كل مرحلة ومفترق طرق أقيمت الحصون والقلاع التي لا تزال بقاياها موجودة وفي كل حملة استعمل أحدهما طريقاً وعبد آخر وأخذ خصمه بالفاجأة والعمل الحاسم.

فهل لنا أن نتساءل اليوم : واللجنة السياسية بجامعة الدول العربية منعقدة : هل نبه أحد من الناس الانظار إلى أن هذا الركن من العالم حيوي لنا وعليه يستند تاريخنا القادم ؟ ... لا أظن

وإنما أعتقد وأجزم بأن رجال الدولة اليهودية كانوا على علم بأهمية الطرق والمسالك وكانوا على حق في اهتمامهم بأراضي النقب وفي وصولهم إلى خليج العقبة وأن الذي وضع خريطة فلسطين سنة ١٩١٧ بشكلها المخروطي أي الذي يبدأ متسعاً في الشمال وينحدر ضيقاً إلى الجنوب حتى البحر الأحمر قد كان يستوحي مملكة أورشليم الصليبيين هزت الكيان العربي والاسلامي والتي لولا أن قدر لنا في التاريخ أمثال صلاح الدين وبيبرس لبقيت في الوجود إلى اليوم .

٨ — أننا لا نطمع في أمثال هذه العبقرية الفذة في التاريخ وإنما نطالب إلى الدول العربية أن تفهم جيداً أن مواجهة الحاضر ومشاكله لا تكفي لايجاد الحلول المطلوبة بل أن أخطر سياسة هي المرتجلة أو المعتمدة على الذكاء الفطري ... الذي يرسم انـــا الديبلوماسيه التي ألفناها وهي ذات العبقرية في ترتيب الدسائس بين مصر والدول العربية والاستفادة من الأهواء والغرائز) ونقول أن حل المشاكل الكبرى يتطلب قبل كل شيء دراسة علمية وتوجيهاً معتمداً على الحقائق التاريخية والجغرافيـــة والتاريخ الحربي لمصر وللعالم العربي . فاذا كانت السياسة والاقتصـــاد « صنوان » لا يفترقان ، فان استخلاص الحقائق الكبرى من دروس الماضي هو الذي يضع الزعماء والقادة في الصف الأول بين زعماء العالم وتنير لهم السبيل لحل المشاكل الكبرى . اننا نأسف أن نلفت النظر إلى هذه الحقائق ، المرة بعد المرة فتذهب صيحتنا هباء ورحم الله أبا الطيب المتنبي الذي علمنا الطرق وجغرافية مسالك الجزيرة فقد بح صوته أيضاً حتى قال :

وما ذكرت قبلك في محال ولا جربت سيفي في هباء

أحمد رمزي
المدير العام لمصلحة الاقتصاد الدولي